الحوار الثالث مع صديقي (جعفر الإمامي)

*** بحث حول رد حول قضيّة استمراريّة الإمامة الإلهيّة وارتباطها بادعاء الشيعة الإماميّة بوجود الإمام الغائب، وفيه مناقشة لتعليق الشيخ الكاظم الزيدي على حوارنا الثاني ***

قلت لصديقي جعفر الإمامي: بعد السلام، في هذه الجلسة أطلب منك مناقشة ردّود الشيخ الكاظم الزيديّ على حوارنا السابق فهل تقبل ذلك؟

فقال: الحمد لله!.. هات ما ألزم به الشيخ، على شرط أن تكون قد فهمت كلامه، فليست لغة العلماء كلغة طلبة العلم!

فقلت: نعم فهمت جواب الشيخ والحمد لله، وقد ألزمك بما يلي:

أولا: عليك أن تترك التأصيل العقلي والنظري لادعائك ضرورة استمرار الإمامة الإلهية وأن تشير إلى هذا الإمام المعصوم الذي هو مصداق استمرار الإمامة الإلهيّة في زماننا، لأن إثبات أي قضية يستلزم إثبات مصداقها أولا، فقال الشيخ:

"أنّ التّأصيلَ الذي لا مصداقٍ تحتَه يتنافَى والحكمَةَ الإلهيّة لاسيّما وهُوَ ممّا تعمّ به البَلوي؛ فإمّا قُلتَ بأنّ مبحثَك المُسّوَر بقضيّة استمرار الحجّة لله في الأرض ذاتُ مصداقٍ، فيلزمُك أن تُشيرَ إليه؛ ليصحَّ أن تقولَ بعدَ ذلك بالعصمَة، وإن لم تُشِر إليه حاضرًا، بل تعتقدُه غائبًا؛ فيعودُ الأمرُ إلى مُطالبتِكَ بثلاثَة أمورٍ داخلةٍ في سُورِ قضيّتك." (نهاية الاقتباس)

فقال جعفر الإمامي: أما قول الشيخ بأن "إثبات أي قضية يلزمه إثبات مصداقها أولا" فهو باطل، بل هو عجيب!، وقد ذم القرآن الحكيم هذا المنطق الذي كان يتبعه أقوام الأنبياء فيقولون: **{أرنا الله جهرة}**، أو يطلبون أن تُنزل عليهم الكتب والملائكة من السماء، وضرب الله لنا مثلا ببني إسرائيل حين طلب منهم نبيّهم ذبح بقرة، فسألوا موسى عليه السلام أن يسأل الله بأن يدلّهم على صفاتها ولونها!، وحين فعل ذلك، قالوا: **{أدع لنا ربك يبيّن لنا ما هيّ إن البقر تشابه علينا}** فطلبوا الإشارة التامة من الله إلى عين البقرة المقصودة ليستجيبوا لأمر الله، **{فذبحوها وما كادوا يفعلون}**

واعلم أخي أن قضيّة الإمام الغائب هي فرع من التسليم للإيمان بالغيب، فإن جاز لأحد أن يُنكر وجود الإمام لأنه غائب، يجوز لصاحب كل شك أن يُنكر كل غيب!.. واشتراط رؤية المصاديق للإيمان بالغيب خطر عظيم على قلب العبد، قد يستوجب أن يُعاقبه الله بتركه في الضلالة والظلمات، كما قال تعالى: **{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون}**.. نسأل الله لنا جميعا السلامة.

وكنّا نتمنّى لو كان بحثنا مُسوّرا بقضية إثبات أو نفي استمراريّة حجّة الله الإمام المنصوب من الله والمعصوم في الأرض، وما كُنّا لنقبل أن نناقشك أنتَ في الغيبة دون بحث مستقل لهذا المبنى الضروري والذي إن انتفى يصبح لا معنى للغيبة، وإن ثبت، فلا توجد جماعة من المسلمين تدعي إمام معصوما لها غير الإماميّة.

ودليل الشرع في حُسن الإيمان بالغيب يكفي للرد على الشيخ في اشتراطه المصداق ليؤمن بأصل استمراريّة حجّة الله في الأرض (الذي يفترض أن يكون قد ثبت أو انتفى ببحث مستقل قبل فتح بحث الغيبة). فإن ذهبنا للمنطق، فاشتراط الشيخ بأن نشير إلى المصداق لنثبت استمرارية حجّة الله بين الناس باطل منطقياً، ولن يقبله منّا عاقل؛ لأنه وقوع في الدور؛ (أن نثبت استمرار الإمامة الإلهيّة من الإشارة لشخص ندعي أنه إمام المعصوم، ثم نشير للمعصوم من هذا الإثبات)!.

فاعلم أخي، أن الإمام الغائب (سلام الله عليه) عند ظهوره لا يستطيع أن يطلب من أحدٍ اتباعه إلا إن كان الشخص مؤمنا باستمراريّة الإمامة الإلهيّة في الناس كضرورة، والشيخ الكاظم الزيدي يفهم كلامنا يقينا؛ ودليل ذلك أنّ الشيخ لو وصله كتاب مختوم من الإمام الغائب، أو لو التقى بأحد الثقات يدعي أنه رأى الإمام لما قبل ذلك، لما قبل منه الادعاء!. **بل هب أن الله تعالى وفّق الشيخ للقاء الإمام الغائب** فسمع نسبه وكلّمه، وسمع ادعاءه بأنه حجة الله في الأرض، وأنه قائم آل محمد الذي بشر به آباءه المعصومون، وأنه غائب منذ 1200 سنة وقد ظهر يطلب من الشيخ أن يكون في أنصاره، هل يُسلّم الشيخ بإمامته لمجرّد رؤيته وجوده؟.. هذا مستحيل!؛ لأن الشيخ لا يُسلّم باستمرار الإمامة الإلهيّة ابتداء، فكيف له حتى أن يُجيب دعوة الإمام الغائب إن التقاه؟

فنعود نُطالب الشيخ أن يأتي معنى لبحث أدلة إثبات الإمامة الإلهيّة ويؤصل صحّة أو بطلان استمرارها من خلال دليل العقل ودليل الشرع من القرآن وأحاديث رسول الله، ثم نجتمع على عقيدة أو نفترق كل في عقيدته إلى أن يحكم الله بيننا، فإن اجتمعنا على ضرورة استمرار الإمامة الإلهيّة فبحث الغيبة أسهل ما يكون، وإلا فلا جدوى للنقاش إلا السفسطة، وليس هذا من قدر العلماء!

كذلك، اعلم أخي أن الشيخ قد قام بمغالطة منطقيّة تُسمّى (مغالطة المأزق الزائف)، والتي تكون حين يحاول أحد طرفي المناظرة إلزام الطرف الثاني بخيارين لا ثالث لهما، أحدهما مستحيل الإثبات ليجعله يقبل الخيار الأخر!، (فإلزام الشيخ لنا هو: إما أن نشير إلى مصداق الإمامة الإلهيّة في هذا الزمان، أو نترك الادعاء باستمرارها)، والإشارة التي يطلبها الشيخ -كما سيظهر- يحددها إما باستمراريّة الحال، أو في صورة علوم للإمام الغائب، وهذا استخدام آخر لذات المغالطة!

إذا، الشيخ يظنّ أنه وضعنا في مأزق!، فطلبه المصداق أو الإشارة لحجّة الله الإمام الغائب بشخصه أو علومه ليس لأنه مستعد لقبول المصداق إن ثبت له، ولكن لأنه يعتقد سلفا أن الإمام محمد بن الحسن العسكري هو عدم، ويريد أن يلزمنا بذلك وفق طلبات يراها تعجيزيّة!. ولسنا بعاجزين بفضل الله فنقول:

نُشير لحجّة الله في الأرض بأنه الإمام محمد بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم جميعا صلاة الله وسلامه)، ثبت لنا وجوده من أبيه الذي أوصى له، وأخذ العهد له من شيعته بعد أن عرفهم عليه، ونعرف استمرار غيبته من القرآن، ومن آباءه حجج الله المعصومين الذين أخبروا شيعتهم بغيبته وخروجه، وإمامنا المعصوم في غيبة بأمر الله تعالى منذ ولادته سنة ٢٥٥ هجرية، وشهادة أبيه سنة ٢٦٠ هجرية. وحكمة غيبته

ابتلاء المسلمين في قبولهم حاكميّة الله، وولاية الله عليهم، وابتلاء للمسلمين في الإيمان بالغيب، ولطفٌ من الله ألا ينزل الإهلاك العام بالكافرين بعد النبوّة الخاتمة، وتكليف للمسلمين بانتظار ظهوره الشريف وإعداد العدة لذلك اليوم. ووجوده في غيبته ضرورة لاستمرار تقدير الله في حاجة الناس لوجود المعصوم في الأرض؛ لأنه وجوده يكلّف شيعته العناية علوم آباءه المعصومين واتباعها ، فهذا جواب مجمل ووافٍ، وهو يغني طالب الحق عن تفصيل يأتي في حوارنا

فقلت له: بل لقد أنصفك الشيخ تمام الإنصاف، فقد كان يكفيه أن يبطل دعواك بفشلك في الإشارة لشخص حجة الله المستمرة في هذا الزمان، لكنّه قد أن أنصفك حين قبل منك دعوى الغيبة وطالبك بالرد على بثلاث إلزامات تقع في إطار دعواك باستمراريّة الحجّة الإلهيّة، واجبة لتقيم عليها دعواك في اعتقاد الغيبة.

فقال جعفر الإمامي: هات الإلزام الأوّل!

فقلت: يلزمك إثبات ماهيّة هذه الحجّة لله التي يقوم بها الإمام الغائب كما قال الشيخ الكاظم الزيدي:

"وإن لم تُشِر إليه حاضرًا، بل تعتقدُه غائبًا، فيعودُ الأمرُ إلى مُطَالبتِكَ بثلاثَة أمورٍ داخلةٍ في سُورِ قضيّتك. الأول: أن تُثبِتَ ماهيّة الحجّة التي قامَ بهَا الحجّة المُستمرُّ في هذا الزّمان -ومن اثني عشر قرنًا- ليصُدقَ قولُك في أنّه حجّة" (نهاية الاقتباس لكلام الشيخ)

فقال جعفر الإمامي: سوف يكون كلامي حسب مباني الإماميّة، ولستُ مطالبا بالبرهنة عليه، لأن ذلك البرهان هو فرع من نقاش حول الإثبات النظري لاستمرار الإمامة الإلهيّة، وهو بحث يجب أن يكون سابقا ومستقلا عن بحث مسألة الغيبة.

فإن قبل الشيخ ذلك فأقول: سوف أذكر صورتين لقيام حجّة الله الإمام الغائب (عجل الله فرجه) بين الناس:

الصورة الأولى لقيام الحجّة: أنّ الإمام الغائب حجةً على الناس في تسليمهم لحاكمية الله، فلا يستطيع أحد أن يؤمن أن الحكم لله إلا بتسليمه بضرورة وجود معصوم. (وبرهان ذلك في البحث النظري لضرورة استمرار الإمامة الإلهيّة).

فمن رفض ذلك، واستند إلى غيبته ليدحض قيام حاكمية الله به، فيُطرح عليه السؤال: هل سلَّم الناس لحجج الله المعصومين في أزمنتهم؟ لقد كان أمير المؤمنين حجةً لله بين الصحابة، ولم يجد له من المتبعين إلا نفرًا معدودًا بعد رسول الله. ولا نريد الإطالة، فنسأل: هل كان الأوصياء بعد أمير المؤمنين ينالون تسليم الناس لهم تبعًا لتسليمهم لحاكمية الله؟ أم أنهم واجهوا الإعراض والنفور وحتى القتل، كما هي سنة الله في جميع حججه السابقة: **{كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون}**، وكما جاء في قوله تعالى: **{إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم}**؟ ونحن نعتقد أن تأويل هذه الآية يشير إلى أن الأئمة المعصومين، حجج الله في الأرض، الذين لا ينقطع وجودهم عن الناس.

فاعلم أن الناس ترفض حجج الله وتقتلهم تبعًا لرفض حاكمية الله، وبذلك تكون الغيبة حسنة، لأنها حجة من الله على الناس في أن يقبلوا حاكمية الله، وألّا يأخذوا الدين إلا من معصوم. فحفظ وجود شخص المعصوم في الغيبة قد حفظ علوم آبائه المعصومين بين شيعته، وجعلها حجة على المسلمين.

وإن رفض الشيخ كلامنا وقال: "إن حاكمية الله لا تحتاج لمعصوم"، فإنه واقعا يفتح البحث النظري لمسألة إثبات أو نفي استمراريّة الإمامة الإلهيّة، وهناك يتعين أن يرد على العديد من الإشكالات، منها ما يتعلق بجعل أهواء الناس شركاء لله في الحكم، إذ إن أصول معتقده في نفي العصمة تتيح إمكانية أن يتقابل إمامان يدعي كل منهما أنه يحكم بأمر الله، وجواز أن يفترق الناس في الدين شيعا كُلٌّ يدعي أنّ له نظر شرعي واجتهاد!، وجواز أن يضلَّ الناس فيتبعوا منافقًا يظهر الإيمان والعلم والصلاح، وعليه إذًا أن يُبيّن كيف يُستدل بترجيح آراء الناس في معرفة الإمام في حين أنّ وقد ذمَّ الله تعالى الكثرة بقوله تعالى: **{وإن كثيرًا من الناس لفاسقون}**.

والصورة الثانيّة لماهيّة حجّة الإمام الغائب: أنّ الإمام حجّة على الناس في الإيمان بالغيب الذي هو شرط ضروري لحصول التقوى، فما أسهل أن يدّعي أحد الناس أنه يؤمن بالله والبعث واليوم الآخر، ثم ينصرف عن ذلك ويكون حاله مُكذِّبًا دعواه، لأنّه – لضعفه - ينسى الموت والبعث والحساب بما اقتضته طبيعة الإنسان الذي خلقه الله خُلق نسيًّا. فانتظار البعث انتظار بعيد، لا يقدر عليه إلا أقل القليل من الناس، فكانت الغيبة لُطف من الله بالناس ليؤمنوا بالغيب.

فمن يؤمن بحجّة معصوم غائب ويعتقد بظهوره في أي يوم يُفترض أن يقضي عمره يستعد لظهوره الشريف، ويُكلّف نفسه ما يلزم من التكاليف ليكون من أتباع

هذا الإمام عند ظهوره؛ فيعيش حياته في خوف وتقوى لله، فإن مات على هذا الحال نجا، وإن ادّعى الإيمان بالمعصوم الغائب كذبا، ثم انصرف إلى الدنيا -مع ما يُلزمه من اعتقاد أن ظهور الإمام قد يحصل في أي لحظة- فإنه يكون قد شهد على نفسه بالكفر إن مات على هذا الحال، ولا تكون له حجة أمام الله يوم القيامة.

فثبت لك أن الغيبة لطف من الله سبحانه في جعل الناس متّصلين بخالقهم؛ إذ لم يتركهم لانتظار البعث، وهو بعيد، بل جعل لهم انتظارًا قريبًا ليرى كيف يفعلون.

والإمام في غيبته أظهر حجّةً مما لو كان حاضرا بشخصه في الناس؛ لأنه لو ظهر ليُقيم حاكميّة الله بنفسه دون أن تكون له قوّة لقتال طواغيت الأرض والمستكبرين فيها، للزم ذلك أن يجري له ما كان يجري مع كل حجج الله الذين وُجدوا في أزمنة كل الطواغيت؛ من قتل، أو حبس ونفي واضطهاد، ولكان تكليف شيعته أن يصبروا معه على ذلك الأذى، كما صبر أتباع كل نبيّ. وقد كان وجود النبيّ في قومه، مع ما يتنزّل عليهم من الوحي والمعجزات، به تأييد من الله لهم ليصبروا؛ لأن تقدير الله في الأمم الماضية كان أن يُهلك المكذبين في أمد معلوم، فأما بعد النبيّ الخاتم، فقد قدّر الله ألا يُهلك أمّةً كذّبت حجته؛ لأن الرسالة الخاتمة عالميّة. فكيف يصبر المسلمون مع حجّة معصوم ليست له النبوّة، ولا الوحي المُنزَّل، ولا المعجزات؟، ودون انتظار إهلاك الله لأعدائهم بمعجزة تكوينيّة؟ هذا تكليف فوق الطاقة، وفتنة عظيمة للمؤمنين، وسيرة أتباع المعصومين دليل للناظر، ليرى ما وقع على الشيعة في أزمنة الأئمة الأحد عشر من ظلم وقتل.

فلذلك لزمت الغيبة التي بها يكون تكليف المؤمن هو الاعتقاد بغيبة المعصوم، والعمل في الإعداد لانتظار ظهوره الشريف، فهذا أسهل على الإنسان من أن

يتحمّل ظلم الطواغيت بلا فرج!. والغيبة تجعل الطواغيت ينصرفون عن أهل الحق الذين غاب إمامهم ولم يطلب حقه في تولّي أمر الناس، لأن الطواغيت لا يؤمنون بظهور صاحب الأمر، ولا يكترثون لاعتقاد شيعته واستعدادهم لظهوره الشريف.

فليس الظهور مع حال الاستضعاف أقوى حجّة من الغيبة كما ظنّ الشيخ؛ ألا ترى أن الإمام الغائب منذ اثني عشر قرنًا قد ثبتت حجته في أمّة مسلمة، واستمر له أتباع مؤمنون يستشهدون على الاعتقاد به؟ ولهم علماء في بحار العلوم، ولهم كتب وتصانيف علّمت الدُنيا وشهد لها العدو قبل الموالي، وعلماء الإماميّة في أبحاث المعقول لا يُحصون، ثم أنّ شيعته أقاموا دولا، ولهم في زماننا دولة وقفت وحيدة عزيزة قويّة تواجه قوى الاستكبار في العالم والحمد لله.

ونقول: لو صحّت دعوى الشيخ بأن الغائب لا تقوم به حجّة لانتهت جماعته منذ اثني عشر قرنًا، فكم من جماعات على مرّ التاريخ ادّعت غيبة قائدها ثم انصرفت عن تلك العقيدة وانقرضت!، فوجود شيعة الإمام الثاني عشر، وما لهم من قوّة وعزّ وعلوم وصدق في الإيمان، دليل على أن حجّة الغائب قد قامت بيقين عند من صدق في اتباع أدلّة الحق.

وهذا يكفي في شرح ماهيّة حجة الغائب. فهات الإلزام الثاني.

فقلت: الإلزام الثاني لإثبات دعوى الغيبة هو "ضرورة إثبات معنى استمراريّة الحجّة الإلهيّة، وبيان هل هي استمراريّة حال أم استمراريّة علم؟ وضرورة تحقق الاستمراريّة واقعًا لا بمجرد تأصيل عقلي محض." فقال الشيخ الكاظم الزيدي: "والثّاني: أن تثبتَ ما معنى وصفِكَ بالاستمراريّة لحجَّة الله -هذا الذي أقمتَ دليلَ حجيّته "إن استطعتَ"- فالاستمراريّة، إن كانت استمراريّةُ حالٍ بمَن قبلَه، فمَن قبله

ظاهرون، وإن كانت استمراريّة علمٍ فها نحنُ لا نعلمُ علمًا مباشرًا له كما كانَ أصحابُ سلفه السّابقين يعلمون علمًا مباشرًا عن أئمّتهم، وكُتب، وموضِعَ تُشدّ إليه الرّحال، ويُعلَمُ مَعه غيابُه في سجنٍ أو سفرٍ أو خلوةٍ أو نومٍ أو نحو ذلك؛ فالاستمراريّة يلزمُ أن تثبتَها مُشخصّةً واقعةً، ليصحّ وصفُك بوجوب استمرار الحجّة"! (نهاية الاقتباس من كلام الشيخ)

فقال جعفر الإمامي: هذا الطلب هو نفس طلب المصداق لاستمرار الإمامة الإلهيّة والذي أجبنا عليه؛ فالشيخ أنه يسألنا أن نظهر له الإمام الغائب إما في صورة استمرار الحال (أي أن يكون وجوده ظاهرا فلا يغيب أو ينقطع عن الناس متى طلبوه)، أو أن نُظهر له علوم هذا الإمام لتشهد على وجوده؛ فكيف اختلف ذلك عن طلب المصداق؟.. فهل نُكرر للسائل أجوبتنا؟!.. ليكن!

فنقول وبالله التوفيق :

أولا:- الشيخ يعلم انفكاك دليل وجود الإمام الثاني عشر سواء كان ظاهرا أو غائبا عن القول بإمامته؛ فلا سبيل لبحث إمامته إلا مع من يُسلّم بإمامة آبائه بالإمامة الإلهية، ويُسلّم بضرورة استمرار الوصيّة الشرعيّة بالإمامة من واحد لآخر؛ إذ إن إمامة الثاني عشر فرع عن إمامة آباءه (عليهم السلام)، فالتسليم بضرورة استمرار الإمامة الإلهيّة ضروري لإثبات ضرورة الوصيّة؛ فإن ثبت انقطاع سلسلة الأوصياء عند الإمام الغائب (عجّل الله فرجه) أو قبل وجوده فلا يكون هناك معنى للبحث في غيبته أصلا!.

فالشيخ يلزمه أن يخوض معنا بحث أدلّة الإمامة الإلهيّة نظريا لنؤسس عليه وجود المعصوم أو عدمه؛ لأنّه لن يقبل منّا الدليل إن أثبتنا له محل إقامة الإمام

الغائب، فضلا أن يقبل منه رسائل أو كتبا أو علوما، أو أن يقبل شهادة لأحد يدعي أنه قد التقاه أو رأى رسالة منه!.. ولا نريد أن نورد شهادات كثيرة لمن ادعى أنه التقى الإمام أو تلقّى منه رسائل؛ فلا الشيخ سيقبل أن الإمام الغائب قد راسل المفيد، ولا سيقبل دعاوى السفراء الأربعة، ولا سيقبل دعوى العلامة الحلّي بأنه التقاه في طريقه... الخ. بل أكثر من ذلك؛ إن الشيخ لو قدّر له الله الالتقاء بالإمام (عجّل الله فرجه) في محل إقامته فإنه يؤمن به إلا إن قام لديه أصل استمرار الإمامة الإلهيّة في آباءه وصولا إليه.

وأما احتجاج الشيخ بأنه بطلب علوم الإمام الغائب لنُثبت بها وجوده، فجوابه ذات الجواب!، ليست علوم الإمام الغائب سواء وجدت أم لم توجد بحجّة على من لم يقبل أصل استمراريّة الإمامة الإلهيّة!، فهب أننا أخرجنا كتابا للإمام الغائب (عجل الله فرجه) عليه اسمه وختمه، وجئنا بالشهود أنّهم تلقّوا منه الكتاب يدا بيد، فإن ذلك لن يُلزِم إلا من استقر عندهم وجود حجّة لله في الأرض يكون الإمام الغائب مصداقا لها.

وإلا فليقبل الشيخ علوم آباءه ويُسلّم منها بعصمتهم وأنهم كانوا حججا لله، وإن رفض الشيخ أن يقول بعصمة آباءه من علومهم وقال: (هذا استدلال دائري)، أو شكّك في من نقلوها عنهم، نقول له: "أحسنت يا فضيلة الشيخ، إذا ادخل معنا بحث استمراريّة الإمامة الإلهيّة نظريّا!"

وبهذا نكون قد أجبنا عن الإلزاميين الأول والثاني والحمد لله، فما هو الثالث؟

فقلت: الإلزام الثالث خلاصته ضرورة إثبات الحكمة الإلهيّة في تغييب الإمام الذي يقوم بحجّة الله في الناس، وسؤال: "كيف تستمر حجّة إلهية لا تكون إلزاما

من جُعِلت عليهم؟".. فإن كان رفع الضلال متوقفًا على المعصوم، وجب ظهوره وبيان قوله، وإلا كان تعليق الهداية على من لا يُعلم منه هدى، مما يناقض الحكمة الإلهية، فيقول الشيخ الكاظم الزيدي حفظه الله ووفقه:

والثّالث الذي تُطالَبُ به داخل سُورِ قضيّتك في استمرار حجّة الله في الأرض: هُوَ إثبات وجهُ الحكمَةِ الإلهيّة في جعل الله حجّةً في الأرض مستمرّةً لا تقومُ بالحجّة فيمَن جعلَهم عليهم حجّةً! وجعلَه متمسّكًا لهم يستوجبون الضّلال بتركِه ويستحقّون الهُدَى باتّباعِه؛ لأنّك تقولُ (حجّة الله) فما هو سبيلُ حجّةُ الله في الزّمانِ -وأنتم تثبتونَه في كلّ زمانٍ فيلزمُكم شرطُكم نصًا وعصمةً- على مَنْ ضلَّ عن منهجِه وعقيدة الكتابِ وهُو يطلبُه صِدْقًا يقومُ -من ذلك حاله وتلك صفته ومعاجزُه- فيهم برفع أسباب الضّلال! فأصبحَ الله تعالى إمّا عادلًا ورفعَ التّكليف عن العباد عندما لم يتحقّق رفعُ الضّلال عنهم إلاّ بمعصومٍ وجبَ وجودُه ومعرفَةُ قولِه. وإمّا -والعياذُ بالله- كانَ رافعًا للحكمَة عن الله أن يُعلّق ارتفاع الضّلال واستحقاق الهُدَى بمَن لا هدايَة له تُعلَم منه؟ "! (نهاية الاقتباس من كلام الشيخ)

فأجاب جعفر الإمامي: هذا شبيه جزئياً بالإلزام الأول في طلب شرح ماهيّة حجيّة الغائب، لكن هناك إضافات جديدة في كلام الشيخ، فسوف نضطر لتكرار بعض ما قلناه في جواب الإلزام الأول للضرورة، مع ما سنذكره من تفصيل؛ فيُمكن جمع جواب الإلزامين الأول والثالث معاً!

فنقول بعد حمد الله وعظيم الثناء عليه، قد أشكل الشيخ بأربعة أمور:

أولا:- يطلب منّا الشيخ أنّ نبيّن له الحكمة الإلهية أن جعل حجّته غائبة عن الناس مع كونها حجّة مستمرةّ لله، بحيث تكون الهداية متوقفة على إتباعها، والضلال لازمًا لمن أعرض عنها، وهذا جوابه من ثلاثة أوجه:

-**الوجه الأوّل لحكمة الغيبة:** بطلان أصل سؤال الله عن حكمة أوامره وتقديره لأمور وشئون الناس؛ سواء كان التقدير لُطفا أو ابتلاءً؛ لأنّنا عباد لله، نعبده بالإيمان بالغيب والتسليم لأمره، وليس لنا أنّ نسأل الله ونحاكمه فيما قضى من تدبير أمور خلقه، أو نسأله عن سبب ابتلاءهم.

وإشكال الشيخ هو من نفس ما قد يستدل به ملحد على المسلمين فيقول: "ما الحكمة التي جعلت ربكم يجعل عيسى بن مريم مولودًا بلا أب، وقد تسبب ذلك في افتتان الناس واتخاذه إلهًا؟".. أو أن يقول آخر: "ما الحكمة التي جعلت ربكم يترك قوم عيسى عليه السلام يشتبهون في صلبه، فيقولون بموته على الصليب ثم يدّعون قيامته، فيضلون ويتخذونه إلهًا؟! أما كان ربكم قادرًا على أن يبيّن لقوم عيسى عليه السلام حقيقة موته أو رفعه بلا ريب؟".. أو يقول ثالث: "ما الحكمة التي جعلت ربكم يُغيّب موسى عن قومه ثم يفتنهم ويترك السامري يُخرج لهم العجل؟".

ومثل هذه الإشكالات التي يقذفها الشيطان في قلوب غير المؤمنين هي خطر عظيم نستعيذ بالله منه، لكننا لن نكتفي بهذا الجواب لكي لا يُعتبر هروبا.

-**فالوجه الثاني لحكمة الغيبة:** ما أصلناه في ردودنا حول ضرورة استمرار الحجّة الإلهيّة للناس لقيام حجّة الحاكميّة وقيام حجّة الإيمان بالغيب، ونفصّل أكثر فنقول: معلوم أنّ المتوكّل قد وليّ الخلافة العباسيّة عام 232 هـ، فكان أشد النواصب على

أهل البيت، وأنه لمّا ورث مُلك العباسيين أرسل ليطلب إحضار الإمام الحادي عشر (الحسن العسكريّ عليه السلام) من المدينة إلى العراق، ليُراقبه ويضعه في ما يُشبه الإقامة الجبريّة، ثم أنّه في ذلك الوقت كانت الأنباء تصل للطاغوت من اعتقاد الشيعة بأنّ ولد الحسن العسكري هو الثاني عشر صاحب السيف الذي ينزع منه المُلك، فقضى الله أن يحفظ خليفته في غيبة كما حفظ نبيّه موسى في اليم؛ لأنّه كما كان لله تقدير في حفظ موسى (عليه السلام) ليظهره نبيّا، فكذلك فإن تقدير الله أن يحفظ محمد بن الحسن المهدي (عجل الله فرجه) ليخرج آخر الزمان ويُحقق الوعد الإلهي بوراثة عباد الله الصالحين للأرض، ويقيم فيها حاكميّة الله، وينشر فيها العدل والسلام كما بشّر رسول الله صلّ الله عليه وآله بخروج المهديّ من ولده.

أما إن قيل: "لماذا لا يُخرجه الله بعدما زال الخطر؟"، فنقول: أن الإمام متى ما أظهر نفسه بإذن الله يجب أن تكون الأرض مهيأة لخروجه بالسيف على كل ملل الكفر والطواغيت؛ فإن أظهره الله بلا إعداد، وقُتل، فإن هذا خلاف الحكمّة الإلهيّة.

وإن قيل: "لماذا لم يجعل الله الإمامة مستمرة ولو قتل إمام كُل يوم حتى يقضي بظهور صاحب السيف؟"، قيل للسائل: "أجعلت نفسك شريكا تصحح لله تدبيره؟"، ثم أعلم أنّه يسهل على الطاغوت المستبد أن يقتل الإمام قبل أن يوصي، وهذا يقطع سلسلة الوصيّة المعصومة، فإن قلت: "يجب أن يمنع الله ذلك"، قيل لك: "هل أنت شريك لله في مُلك خلقه لتبيّن له كيف يحفظ أولياءه وحججه على العباد؟"، ثم كيف تريد أن يحصل هذا المنع؟، إن حصل المنع بمعجزة تكوينيّة تهلك كل طاغوت قبل أن يقدر على قتل الإمام، فإن ذلك ممتنع لأن تقدير الله قد سبق ألا يُهلك أمم الكافرين والمكذبين بالإهلاك العام بعد الرسالة الخاتمة

وإن قلت: "فليُقتل كُل إمام ولتُستعبد شيعتهم كما استعبد فرعون بني إسرائيل فذلك أحسن حكمة من الغيبة".. انقطع معك الكلام!

فاعلم أخي أنّ التمكين له شرائط يجب أن يحققها المسلمون، وليس منحة إلهيّة بلا سبب!، وظهور الإمام المعصوم هو أحد هذه الشرائط، وأما الذين يطلبون أن ينصر الله أمّة الإسلام وهي قاعدة وغير جاهزة على حمل أمر الله بالقتال فإنهم يعترضون بنفس اعتراض بنو إسرائيل الذين قالوا لموسى عليه السلام: **{اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون}..** فعاقبهم الله بأن ضرب الله عليهم التيه أربعين سنة، وحرمهم من دخول القرية المقدسة. فإن وعيت ما قلناه، علمت الحكمة الربانيّة في الغيبة التي تحفظ الإمام حتى تتم تهيئة الأرض لظهوره، وحتى ينتشر المؤمنون بها ويتكاثروا، ويستعدوا له ويأخذوا بأسباب نُصرته، فأية حكمة خير من ذلك؟

-**والوجه الثالث لحكمة الغيبة:** أنّ شيعة الأئمة كان فيهم المؤمنون، وفيهم المنافقون والفاسقون طُلاب الدنيا، وكان كُل إمام يُواجه في بداية إمامته بمن ينكرون الوصيّة وينشقّون بفرقة عن أهل الحق، فاعلم أنّ جعفر الكذاب شقيق الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كان يطلب الإمامة بعد أبيهما عليّ الهادي (عليه السلام)، وكان يريد أن يرث الإمامة من أخيه، ويشي بأخيه عند أعوان الطاغوت متوسلا به، وكل ذلك في زمان المتوكّل ومن أتى بعده من أشر النواصب!، فجاءت الغيبة لتقطع هذا الشقاق والافتراق المتكرر، فقد حفظت الغيبة ملّة أهل الحق، وتلك حكمة قضاها الله لكي تكون جماعة المؤمنين متحدة وقويّة لتحقق شرائط صاحب الأمر الذي يظهر آخر الزمان ويخرج بالسيف.

ثانيا:- يُشكل الشيخُ على الغيبة بأنها سببٌ لضلال الناس! فيطلب إثبات وجه الحكمة في استمرار غيبة الحجّة لاثني عشر قرنًا مع اشتراط الإيمان بها.

فنقول بعد حمد الله: قد ضلَّ كلُّ الصحابة عن إمامة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلا نفراً معدودين، رغم ظهور أمير المؤمنين فيهم، وجهادهم معه، وما سمعوه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فضله، ورغم النصِّ الجليّ المبين بالتنصيب الإلهي في غدير خم، فما منعهم من الهدى؟

وما منع الناس أن تجتمع على آباء الإمام الثاني عشر (عليهم السلام)، وقد كانوا ظاهرين في الناس؟.. وهل نفع بني إسرائيل استمرارُ إرسال الله الأنبياء والرسل والملوك لهم ليؤمنوا؟ لا، فالله يقول: {ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلًا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون}.

وهل هناك ظهور لحجّةٍ أقوى من حجّة الأنبياء؟!.. فلماذا كانت سنّة الله أن يُكذَّب كلُّ نبيّ ويُرفض، ويتعرض لخطر النفي والقتل، إلا أن يُنقذه الله ومن معه من المؤمنين بمعجزة تكوينيّة؟

فيعلم الناظر المنصف أن اشتراط الشيخ ظهور المعصوم لكي يكون أظهر حجّة للعباد باطل، وذلك كله فصلناه في الرد على الإلزام الأول، فلا نحتاج لتكرار.

واقتراض الشيخ - وفقه الله - أنّه لو ظهر الحجّة المهديّ للناس مستضعفا فإن حجته ستكون أظهر من حجته في غيبته هو اقتراض باطل.. كما بيّنت في ردي على طلب شرح الماهيّة؛ بل إن غيبته لطف كبير من الله تعالى!، لأنّ رحمة الله قد اقتضت أن ينتهي إهلاك المُكذبين عامة ببعثة النبيّ الخاتم، ولو استمر ظهور حجج الله المعصومين في حال الاستضعاف لتعرّض اتباعه لما تعرّض له قوم

موسى على يد فرعون، قال تعالى: **{ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين}** (القصص: 4)

بل إن ظهور الإمام الثاني عشر بعد غيبته الطويلة هو فتنة عظيمة، نسأل الله الثبات عندها، فالروايات تفيد بأنه عند ظهوره يرتد أغلب المؤمنين به في غيبته: فقد روى النعماني عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: "أما إنه لو قام قائمنا لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شابًا موفقًا، فلا يثبت عليه إلا من أخذ الله ميثاقه في الذر الأول."

ثالثا:- يسألنا الشيخ فيقول: "ما هُو سبيلُ حجّةُ الله في الزّمانِ -وأنتُم تثبتونَه في كلّ زمانٍ فيلزُمكم شرطُكم نصًا وعصمةً- على مَنْ ضلَّ عن منهجِه وعقيدة الكتّابِ وهُو يطلبُه صِدْقًا؟"

فنقول بعد حمد الله وعظيم الثناء عليه: إن طالب الهُدى يرى بعين اليقين، كما قال تعالى: **{كلّا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم}..** فنحن نؤمن بوجود الحجّة الغائب بنفس علم اليقين الذي لنا في تصديق أنّ الجنّة حق والنار حق، ثم بأدلّة شرعيّة ونصّية وعقلية لا حصر لها.. والعبد الصادق في طلب الحق يهتدي بها بإذن الله ويقذف الله في قلبه اليقين، ويُسخّر له من يدله عليها.

وطالب الحق بصدق يستحي أن يطلب من الله آية ليؤمن، بل يبكي في خشوع طلبا للحق، والله يدله عليه بلا شك، وهو قادر أن يُنزّل عليه آية دون أن يطلبها.

وأما الذي يستكبر ويقول: "أظهروا لنا الإمام الغائب لنؤمن" مع ثبوت ما أوردناه من أدلّة، وما لم يتسع المقام لنورده بسبب حصر البحث في الغيبة ورفض أن يكون البرهان النظري دليلا على وجود محمد بن الحسن الحجّة (عليه السلام) فهذا يكون مثل من كانوا يحتجون على أنبياءهم بطلب نزول الآيات والكتب والملائكة!.. فلا نزيد على أن نحذره أن يكون ممن قال الله فيهم: **{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون}**... وتأويل الآية عند الإماميّة أنها في المهدي (عجّل الله فرجه).. نسأل الله الثبات والسلامة

رابعا- يرى الشيخ أنّ استمرار الغيبة ليست من حكمة الله في هداية العباد فيقول: "الله -وحاشاه- يكون قد نفى عن نفسه الحكمة، بأن يعلّق رفع الضلال واستحقاق الهداية على مَن لا سبيل إلى معرفته ولا طريق لهدايةٍ تُؤخذ منه"!

وجواب ذلك بعد حمد الله: قد أجبنا على هذا الإشكال، وإننا نطلب منك يا شيخ أن تفسّر لنا (وفق إلزامك هذا) لماذا قدّر الله أن تكون هناك فترة غابت فيها الرسل بعد نبوّة عيسى (عليه السلام) لستّة قرون!.. هل كان الله مُضلّا للناس وغير حكيم؟.. حاشاه عز وجّل فهو الحكيم الخبير.

واشرح لنا يا شيخ!.. لماذا جعل الله النبوة في ذريّة إبراهيم، ولم يبعث أنبياءً في الهند والصين والروم؟ (أقلّه في التاريخ المكتوب خلال الـ 2500 - 3000 سنة لهذه البلدان)؟.. ولماذا جعل الله الهداية في أمّة العرب اليوم، بينما العجم لا يستطيعون استيعاب حجيّة القرآن، ويحتاجون لتجاوز حواجز عدة من الجغرافيا واختلاف الثقافة واختلاف اللغة لكي يقبلوا رسالة الإسلام العالمية؟.. أليس على

مقاييس الشيخ يكون أهدى للناس لو بُعث لكل بلد رسول منهم بلغة قومه؟ فلماذا حصر الله الهداية في ذرية إبراهيم؟.. **ما أسهل هذه الحجج** التي قد يستدل بها من يريد الاعتراض على الله، مدّعيًا طلب فهم الحكمة، نسأل الله لنا وللسائلين الهداية والسلام. **فاعلم** أن الله - سبحانه - حكيم في كل أمر، فإن ثبت أن الغيبة أمر الله وضرورة للهداية، فقد وجب أن الاعتقاد بالحكمة الإلهية لها.

ومن يريد إنكار الغيبة، فليفعل.. ولكن من خلال أساس علميّ ينقض بطلان ضرورة استمرار الإمامة الإلهية نظريًا، لا عبر مزايدات إنشائية لا يقوم لها وزن عند طالب الحق!

فأما قولك يا شيخ "أنّ الإمام الغائب لا سبيل لمعرفته"، فجوابه: أي معرفة تريد أكثر مما أثبتنا لك؟.. إن قلت: أن يُظهره الله لك بشخصه لكي تؤمن، فاسأل أئمة الزيدية الذين عاصروا آباءه، ما منعهم من الإيمان بهم!.. وإن قلت: بأن يبعث لك كتابًا مختوما، فعندك روايات آبائه عنه مستفيضة ومتواترة.. فاقبلها أولًا.

ألا أنّ الهداية من الله ابتداءً فعلى طالبها أن يقوم فيُصلّي لله مخلصا، ويسأل الله نور السماوات والأرض أن يطهّر قلبه، وأن يُخرجه من الظلمات إلى النور، وليسأل الله بحق آل محمد أن يُتمّ عليه نعمته، وأن يُكمِل له الدين، وأن يُخرجه من كل ضلالة إلى الحق المبين، وأن يهديه إلى آيات الله و صراطه المستقيم.
وها قد انتهيت من الرد على الإلزامات الثلاثة التي طلبها الشيخ الكاظم الزيدي -هداه الله- من الإماميّة لاعتقادهم باستمرار الإمامة الإلهيّة في معصوم غائب.. فنكون قد أثبتنا – بحمد الله - ضروريات الاعتقاد بغيبة الإمام محمد بن الحسن (عجّل الله فرجه) لاستمرار حجّة الله في الأرض كما طلب الشيخ.. فهل بقي شيء؟

قلت: نعم!.. قال الشيخ: "فإن قبلتُم رفع ما سبقَ من مطالب بإثباتِ (حجَّةِ المراجع في مطلبنا أوّلا - واستمراريّة وجود المراجع في مطلبنا ثانيًا - وأنّ سبيل حكمة الله وحجّته هي المراجع يرتفعُ بهم الضلال في مطلبنا ثالثًا) فاقبلُوا بحجّجِ يُثْبتُهم الشّرع غير معصومين..." (نهاية الاقتباس من كلام الشيخ)

فقطع صديقي الإمامي كلامي وقال: حسبك!.. فقد طال نقاشنا، وقد استقر لك أننا أجبنا المطالب الثلاثة التي اشترط الشيخ الإجابة عنها ليصح اعتقادنا باستمرار الحجّة الإلهيّة في مصداق هو الإمام الغائب محمد بن الحسن المهديّ (عجّل الله فرجه الشريف).. ثم أنّك أخي قد علمت من أجوبتنا وجود حجج كُليّة مستقلّة للإمام الغائب (عجل الله فرجه) عن مسألة حجيّة المراجع.. وهي بإذن الله وتوفيقه شافيةٌ بما يشرح صدر المؤمن.. فلا حاجة لسماع ما بناه الشيخ من إلزامات جديدة!

وأمّا مسألة المراجع، فهي فرع على فرع!.. لأنّ من يسأل فيها لابد أن يعتقد ثبوت استمرار الإمامة الإلهية في الناس ابتداء، ثم يؤمن بالإمام الثاني عشر الغائب مصداقا لها، ثم يبني على غيبته.. وليست لي طاقة أن أخوض حديث دون أسس أكثر مما فعلت!

لكن للإشارة السريعة: هل حين أرسل رسول الله (صلّ الله عليه وآله) أمير المؤمنين لليمن لينقل له رسالة الإسلام، هل كان علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه في بعثته تلك حجّة على أهل اليمن؟.. فإن قال حجّة، نقول: هب أنه في نفس الوقت أتى رسول مسيلمة الكذاب لأهل اليمن، أيكون حجّة.. فذلك الجواب؛ لا يكون العالم المجتهد الذي يعتقد بضرورة وجود المعصوم ويؤمن بغيبة وظهور وليّ

الأمر (عجّل الله فرجه الشريف)، والذي يأخذ بعلوم وروايات الأئمة المعصومين في منزلة من ينكر ذلك كُله ويُفتي الناس بأقوال غير معصومين. وفقك الله، وإلى لقاء بإذن الله.

ثم قام صديقي من مجلسه، على وعد بحوارات أخرى تفصيليّة في أدلّة العصمة استمرار الإمامة الإلهيّة من القرآن الكريم، وتركني في حالة لم أعرفها من قبل، أو قل لقد كان سببا في أن يُنير الله قلبي بما لم أظن له أن يكون.. فجزاه الله خيرا!